ترجمة الجغرافيا

أ.د. يوسف عبد المجيد فايد

كلية الآداب – جامعة القاهرة

من المفارقات الطريفة أن كلمة جغرافيا ذاتها – ورغم الجرس المصاحب للكلمة – هى كلمة يونانية قديمة أعجمية وليست كلمة عربية. وما كان يكتبه الجغرافيون العرب القدماء كانوا يسمونه تقويم البلدان أو المسالك والممالك أو نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق. ولم يكن فى حسبان أولئك الجغرافيين من أمثال المسعودى والإدريسى والبيرونى وغيرهم أن يبحثوا عن اسم لذلك العلم الذى يكتبونه عن وصف البلاد، ربما لأنه كان ضمن كتاباته بعض من الاجتماع أو التاريخ أو وصف سلالات البشر.

ولما جاء العصر الحديث وانتقل النقل العلمى إلى الغرب مع بداية عصر النهضة ونشاط الكشوف الجغرافية وما تبعها من استعمار للقارات والبلدان، اتخذ الغرب كلمة جغرافيا لهذا العلم الذى أصبح قويا وضروريا وأصبحت له قواعده وأصوله ومناهجه ثم مدارسه. ولاغرو فالكلمة أصلها أوربى geó بمعنى أرض وgraphy بمعنى تصوير أى أن الجغرافيا هى علم صورة الأرض. ورأى العلماء العرب أن يستخدموا نفس اللفظ مع تحريف لتسهيل النطق من جيوجرافيا إلى جغرافيا.

وفى سابق عهد نقلت الكتابات الجغرافية العربية أو بعضها إلى بعض اللغات الأوربية. وفى لاحق عهد بدأت الكتابات الجغرافية الأوربية وخاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية ينقل بعضها أو بالأحرى يترجم إلى العربية.

متطلبات الترجمة :

الترجمة كما هو معروف هى نقل من لغة إلى لغة أخرى، والترجمة أمر ضرورى وحيوى ولا غناء عنه سواء كان ترجمة لحديث شفوى أو مناقشة أو تبادل للآراء أو مراسلات أو كتابات. والترجمة عملية شاقة وصعبة وخطيرة للغاية لأن نقل الكلمة من لغة إلى لغة أخرى يستلزم بالضرورة أن تكون الكلمة الجديدة مطابقة تماما للكلمة المترجمة وإلاَّ ضاع المعنى

وضاع المقصود وتبلبلت الفكرة فى ذهن المستمع أو القارئ للنص المترجم.

لذلك لابد أن يكون القائم على الترجمة مالكا لناصيةِ اللغتين: اللغة الأصلية واللغة المنقولة إليها الترجمة. كما أن المرتجم لابد أن يكون متخصصا بعمق فى فرع العلم الذى يتصدى لترجمة نصوص منه وإلا أتى بكلمات غير الكلمات الأصلية الموجودة فى النص فتضيّع المعنى الأصلى ويأخذ بقارئ النص المترجم إلى مفاهيم وحقائق مختلفة. لذلك لا يصح أن يقوم بالترجمة متخصص مبتدئ، وإنما يجب أن يكون المترجم من المتخصصين الضالعين فى تخصصه، العارفين بتفاصيله ومصطلحاته المختلفة وأن يكون له كتابات ومؤلفات عدة فى فرع التخصص وأن يكون مطلعا قارئا لما كُتِبَ فى هذا الفرع سواء بلغته أو باللغات الأجنبية وخاصة باللغة المكتوب بها النص الذى يقوم بترجمته.

أسماء الأماكن :

توجد مشكلة كبيرة فى الجغرافيا عند نقل مؤلفات جغرافية من لغة إلى لغة أخرى وهى أسماء الأماكن وهذه المشكلة ذات شقين : الشق الأول أن هناك بعض الحروف فى لغة ما ليس لها مقابل فى لغة أخرى ومن أشهر هذه الحروف فى اللغة العربية حرف " غ " وحرف "خ" وحرف "ض" كما توجد حروف فى اللغة الإنجليزية ليس لها مقابل فى اللغة العربية مثل "V , P" ومثل "g" غير المعطشة (وإن كان الحرف الإنجليزى الأخير لا يمثل مشكلة بالنسبة للهجة المصرية عندما يكتب ج وإنما يصبح نطقه غريبا على الكلمة عند تعطيشه فى العربية الفصحى). وقد أدى استخدام حروف بديلة إلى تغييرات غير مقبولة لأسماء الأماكن فاسم الدولة "غانا" أصله "جانا" دون تعطيش لحرف "ج" مما اضطر أهل الشام إلى قلبه إلى "غ".

أما الشق الثانى من مشكلة الأسماء فى الترجمة أن بعض أسماء الأماكن هى أسماء وصفية، فهل عند الترجمة نسميها بالعربية بأوصافها أم بحروف عربية حسب النطق الأجنبى، فمثلا السهول الوسطى فى الولايات المتحدة اسمها هناك جريت پلينز، والوادى الأوسط فى ولاية كاليفورنيا اسمه سنترال فالى. ناهيك عن تعدد الأسماء لمكان واحد فى كل لغة من لغات العالم فمثلا القاهرة هى كايرو فى الإنجليزية، لوكير فى الفرنسية، كايير فى الروسية إلى آخره، مما حدى بأحد المؤتمرات الجغرافية الدولية إلى اتخاذ قرار بأن تكتب أسماء الأماكن كما ينطقها أهلها. ولكن تظلّ المشكلة قائمة بسبب اختلاف الألسنة.

المعاجم الجغرافية :

من الأمور الصعبة فى الترجمة من لغة لأخرى وضع المصطلحات الفنية الخاصة بالعلم. وتعتبر هذه المصطلحات أمرا أساسيا تمثل الهيكل العظمى للجسم الذى نقوم بترجمته. ولكل علم من العلوم مصطلحات خاصة به وهى عبارة عن المفاهيم والقواعد العلمية التى يقوم عليها العلم؛ وأى علم ليست به مصطلحات علمية يصبح كلاما مرسلا أو كما يعبر عنه أحيانا أنه كتابات عامة يستطيع غير المتخصص أن يقرأها وأن يلم بها، أو بمعنى آخر يقال عنها إنها ثقافة عامة للقارئ العادى غير المتخصص. وعندما نتصدى للترجمة العلمية تقابلنا مصطلحات تعنى أشكالاً أو عمليات جغرافية لها طبيعة خاصة ودلالات محددة يجب أن تنقل للقارئ العربى بنفس الصورة وبنفس المفهوم وإلا ضاعت الفكرة وضاع الشكل. وقد يرى بعض العلماء أن لا سبيل إلى ترجمة هذا العلم أو ذاك مثل الطب والصيدلة والطبيعة والكيمياء وحتى الجيولوجيا وأنه من الأسلم أن نأخذ هذه العلوم وأن ندرسها ونتعامل معها كما هى وباللغة التى كتبت بها وهى غالبا اللغة الإنجليزية، وأن محاولة ترجمة هذه العلوم إلى اللغة العربية سيؤدى إلى تشويهها والابتعاد بها عن المقصود منها، بل إنهم يرون أن ترجمتها ستقضى عليها وبالتالى يحظرون هذه الترجمة ويأخذون هذا المنحى على أنه الأمر الطبيعى الذى لا نقاش فيه. غير أن الجغرافيين العرب المحدثين وخاصة فى مصر وسورية خرجوا عن هذا الخط ورأوا أن الجغرافيا يمكن ترجمتها إلى العربية ويمكن الكتابة فيها باللغة العربية ربما مدعومين بالتراث الجغرافى العربى الذى ذكرناه من قبل.

غير أن أهل الجغرافيا من المحدثين فى القرن العشرين ورغم مؤلفاتهم فى فروع الجغرافيا المختلفة ورغم كتبهم وأبحاثهم التى تدرس فى الجامعات العربية وفى المدراس، قد صادفتهم مشكلة المصطلحات الجغرافية حيث أن الكتابات الجغرافية العربية القديمة لم ترد فيها مثل هذه المصطلحات، فقد كانت كما ذكرنا كتابات وصفية عامة ولم تكن كتابات علمية مقننة.

وهنا وجد اتجاهان فى الكتابة الجغرافية العربية وفى الترجمة الجغرافية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية :

الاتجاه الأول وهو الأصعب والأخطر هو البحث عن كلمات أو مصطلحات عربية تقوم مقام المصطلحات الأجنبية، وتبدو هذه المصطلحات العربية غريبة غير دارجة لم يألفها الدارسون العرب ثم هى ثقيلة على السمع وإن كان بعضها قد انتشر واستخدم هنا وهناك وأصبح

جزءًا من الأدب الجغرافى فى بعض الدول العربية ولا أقول كلها.

والمشكلة الكبرى أن هذه المصطلحات الجغرافية العربية تعددت واختلفت من بلد عربى إلى بلد آخر مما أدى إلى تفاقم المشكلة.

وقد أصبح المصطلح الجغرافى الأجنبى له ترجمة معينة فى سورية مثلا ولكن له ترجمة أخرى فى مصر أو السودان. كما أن الدول العربية لها مصادرها العلمية المتباينة ففى مصر يأخذون من الإنجليزية غالبا ومن الفرنسية والألمانية أحيانا وفى الجزائر يأخذون من الفرنسية وفى ليبيا يأخذون من الإيطالية. وهكذا تعددت المصطلحات العربية "للظاهرة الواحدة. ونورد مثلا واحدا على هذا "fold" بالإنجليزية تترجم إلى"التواء" فى مصر ونفس الظاهرة يقول عنها السوريون "طَيَّة" بل إن بعض الظاهرات تترجم ترجمات مختلفة فى مصر مثل "Subsoil" وترجمتها " ما تحت التربة" وهى ترجمة دارجة غير أن البعض أراد لها مصطلحا فسمَّاها "تحتربة".

تقنين الترجمة الجغرافية :

فى خضم هذا الطوفان من الاختلافات فى الاتجاهات والمفاهيم فى الترجمة الجغرافية رأى بعض الجغرافيين أن الأمر يحتاج إلى مصدر لترجمة المصطلحات الجغرافية. وكانت هناك محاولات فردية ومحاولات مؤسسيَّة.

من المحاولات الفردية القديمة نوعا ما قام به الدكتور يوسف تونى من جامعة عين شمس من تأليف المعجم الجغرافى الذى احتوى على مجموعة من المصطلحات الجغرافية بالإنجليزية وما يقابلها من المصطلحات العربية وكان لهذا المعجم وقع لا بأس به على الأسرة الجغرافية، غير أن هذا المعجم لم يتكرر طباعته لذلك انحسر انتشاره واستخدامه فى الوقت الحاضر خاصة بعد أن سافر المؤلف إلى الخارج.

كما أصدر الدكتور محمد صبرى محسوب من جامعة القاهرة معجما للمصطلحات الخاصة بالجغرافيا الطبيعية وهو الآخر محدود الانتشار . أما على الجانب المؤسسى فقد قام جمع اللغة العربية فى مصر بعمل معجم للمصطلحات الجغرافية فى النصف الثانى من القرن عشرين اضطلع به عدد من أساتذة الجغرافيا فى ذلك الحين نذكر منهم الدكتور إبراهيم رزقانة دكتور محمد محمود الصياد والدكتور محمد صفى الدين أبو العز . وفى أوائل القرن الحادى

والعشرين تصدى مجمع اللغة العربية بالقاهرة مرة أخرى إلى ترجمة المعجم الجغرافى الإنجليزى للأستاذ مونك هاوس وهو معجم شارح إلى اللغة العربية وأسهم فى هذا العمل عدد من أساتذة الجغرافيا على رأسهم سليمان حزين وإبراهيم رزقانة ومحمد السيد غلاب ونصر السيد نصر ويوسف أبو الحجاج ويوسف عبد المجيد فايد وعبد الرحمن الشرنوبى.

المجلس الأعلى للثقافة والترجمات الجغرافية :

أسهم المجلس الأعلى للثقافة فى مصر من خلال لجنة الترجمة فى عملية ترجمة عدد من الكتب القيمة فى الجغرافيا من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية ضمن مشروع كبير للترجمة وقد قامت لجنة الجغرافيا بالمجلس باختيار عدد من الكتب الجغرافية وتكليف بعض الأساتذة من أعضاء اللجنة بترجمتها نذكر منها على سبيل المثال كتاب "المناخ والطقس والميتورولوجيا" ترجمة دكتور عبد القادر عبد العزيز ومراجعة دكتور يوسف عبد المجيد فايد، وكتاب "التصحر" ترجمة دكتوره آمال شاور ودكتور عاطف معتمد ومراجعة دكتور يوسف عبد المجيد فايد. وقد قام المجلس الأعلى للثقافة بطباعة هذه الكتب ونشرها. وما زال المجلس يسعى إلى ترجمة كتب أخرى، إلى أنْ قامت مؤسسة جديدة هى "المركز القومى للترجمة" للسهر على موضوع الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

مجهودات أخرى فى الترجمة :

عندما نتكلم عن الترجمة فى مصر فإن التفكير يتجه إلى أن المقصود هو الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية من أجل إثراء المكتبة العربية بالكتب القيمة الصادرة باللغة الأجنبية.

إلا أنه فى بعض الأحيان تجد بعض الجهات الأجنبية أن المكتبات الأجنبية تقتصر إلى مؤلفات بلغاتها عن بعض البلدان غير الأوربية فتبحث عن كتاب جغرافى عن دولة ما مثل مصر وتسعى إلى ترجمته إلى اللغة الإنجليزية مثلا. وهو أمر شبيه بما حدث لبعض كتب التراث العربى فى عصر النهضة الأوربية عندما ترجمت بعض الكتب العربية إلى اللغات الأوربية لقيمتها العلمية الكبيرة فى ذلك الحين، وعدم استطاعة القارئ الأوربى قراءة تلك الكتب العربية القيمة. ومع التشابه، مع الفارق، رأت الجامعة الأمريكية فى القاهرة ترجمة بعض الكتب التى تتناول جغرافية مصر من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية. وقد قيض لكتاب واحد من

الكتب المقترحة أن تتم ترجمته وأن ينشر بواسطة الجامعة الأمريكية بالقاهرة فـــى ســـبعينيات القرن العشرين وهو كتاب "مورفولوجية الاراضى المصرية" تأليف الدكتور محمد صفى الـــدين أبو العز وقام بترجمته من العربية إلى الإنجليزية الدكتور يوسف عبد المجيد فايد مـــن جامعـــة القاهرة.

خاتمة

هذه نظرة سريعة على الترجمة الجغرافية فى مصر، طوّفنا فيها على بعـــض الجوانـــب، وأرجو أن نكون قد ألقينا الضوء على هذا الموضوع الهام، ونختم بأن عملية الترجمة من لغـــة إلى أخرى عملية ضرورية وهامة وهى ليست فى المرتبة الثانية أو الأقلّ بالنسبة للتأليف، حيث أن الترجمة تكون غالبا أكثر صعوبة من التأليف وتحتاج إلى علم ومهارة وتخصص عميق فى الفرع الذى يتصدى له المترجم العالِم.